

التجربة السياسية و الشعر  
مقاطع من قصيدة ((ملاحظات في الهامش))

الشاعر دبليو. أتش. أودن  
ترجمة باقر جاسم محمد

كان الشاعر الإنجليزي ويستان هيو أودن (١٩٠٧-١٩٧٣) مولعاً على الدوام بحكمة الأقوال المأثورة؛ و كانت قراءاته الواسعة في الأدب الألماني قد جعلته على اطلاع منذ وقت مبكر على كتابات جيورج كريستوف ليتخبيرج (١٧٤٢-١٧٩٩)، و هو أحد كبار واضعي الأقوال المأثورة في عصر التنوير، و كتابات الصحفي النمساوي الكبير كارل كراوس؛ و العبارات المقتبسة للخطباء كانت ملاحظات وثيقة الصلة تماماً على نحو أكثر مما هي قائمة على الدعابة من مثل: "الوجوه الشخصية في الأماكن العامة / تكون أكثر حكمة و لطفاً / من الوجوه العامة في الأماكن الشخصية." و قد تحول في كتابه الحالي شخصياً إلى صوغ الأقوال المأثورة، رابطاً بين الملاحظة النظرية مع بنية السطر المحورة من الأشكال اليابانية المسماة بالهايكو *Haiku* و التانكا *tanka* (المكونة من ١٧ و ٣١ مقطعاً على التوالي). و تمثل المجموعة الأولى سلسلة مترابطة، و القصيدة القصيدة الأخيرة تشير إلى الشاعر نفسه. و هنا يظهر أثر البنية الفكرية في شعر أحد شعراء الحداثة الكبار الذي صار اسمه علامة على جيل كامل فكانت تسمية (جيل أودن) تشمل كلاً من سي. داي. لويس، و لويس ماكنيس، و ستيفن سبندر. و نلاحظ هنا أن المغزى الفكري و السياسي لهذه المقاطع أو القصائد القصار يتجاوز الوقائع التاريخية ليقدّم دلالاته المعومة في فضاء يمكن لنا أن نقرأ من خلاله أية تجربة سياسية إنسانية مماثلة. و بذلك يتخلص الشعر من تهمة التعقيب على حدث بعينه، و من منزلق فقدان الأهمية بزوال الحدث نفسه و عدم تكراره. و نلاحظ أيضاً أن قصائد أودن القصيرة هذه التي كتبت في العام ١٩٧٠، التي يمكن أن تقرأ على أنها مقاطع من قصيدة واحدة أو بوصفها قصائد قصار مستقلة بنفسها، ما زالت تمتلك طاقة شعرية مؤثرة على الرغم من مرور أربعين عاماً على ظهورها. و لعل هذا من المؤشرات على نجاحها في امتحان الزمان. و القراءة المتبصرة لهذه القصائد تجعلنا نفهم بعمق كثيراً مما جرى قبل ٢٠٠٣ و مما يجري الآن في بلادنا.

القصائد:

١.

الرجل الميت الذي لم يتسبب قط بموت الآخرين  
نادراً ما يستحق أن يقام له نصب تذكاري

٢.

الملك الأخير  
في سلالة منقرضة  
نادراً ما يحظى بكلام طيب

.٣

القليل أيضاً تساورهم الرغبة  
في أن يقرؤوا الحوليات البائسة  
للناس الذين ضربوا بالهراوات

.٤

شعار الطاغية:  
كل ما هو ممكن  
فهو ضروري

.٥

الطغاة الصغار الذين يعانون من تهديد طغاة كبار  
يعتقدون بإخلاص  
أنهم يحبون الحرية

.٦

لم يحدث قط  
أن خاف أي طاغية  
من أحد أتباعه من الجيولوجيين  
أو المهندسين

.٧

الوطنيون؟ إنهم أولاد صغار،  
تهيمن عليهم فكرة العظمة،  
الطعنات العظيمة، و الأموال العظيمة، و الخفقات العظيمة.

.٨

في الدول التي لا تستطيع  
أن تزيل الأسى  
يجري شنق التذمر و الاستياء.

.٩

في البلدان التي تكاد تسود فيها الأمية  
يتودد زعماء الدهماء  
للمراهقين.

.١٠

حينما يفضل زعماء الدولة  
العمل ليلاً  
فعلى المواطنين  
أن يكونوا متيقظين.

.١١

امتدت الكف للترحيب:  
أنظري! من أجلك  
قد أفردت قبضتي.

.١٢

الطبقة التي كان قد سخر من رذائلها  
هي الطبقة خاصته،  
و هي الآن منقرضة، سوى  
بالنسبة للأحياء المنعزلين من أمثاله  
الذين يتذكرون فضائلها.

المصدر:

Frank Kermode & John Hollander (Gen.Editors) (1973) *The Oxford Anthology of English Literature*. Vol. II. London, Oxford University Press. Pp. 2111-2113.

